

دعوة الحق
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي



مراتبه ومطالبه

تأليف
الأستاذ أحمد محمد جمال




بسم الله الرحمن الرحيم

مباحث الكتـــــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

خلال هذه الصفحات القلائل تحدثت بإيجاز عن موضوعات ثلاثة : جهاد النفس أولا . . وهو ما سُمِّي (بالجهادِ الأكبر) في الحديث النبوي — ثم عن كون الإسلام دينَ سلامٍ ومودةٍ وتعاون ، وليس دينَ حربٍ وعداءٍ وعدوان .

أما الموضوع الثالث : فهو عسكريّةُ الإسلام . . أي المبادىء والأخلاق التي تقترن بالنظام الحربي الإسلامي .

والموضوعات الثلاثة : مترابطةٌ ومؤكِّدةٌ هذه الحقيقةَ الواضحةَ . . حقيقةَ كونِ الإسلام دينَ السلام ، وأنه يبدأ بأتْبَاعِه فيربِّيهم على مكارم الأخلاق التي يجب أن يتعاملوا بها فيما بينهم ، ومع أعدائهم ومخالِفيهم في الدِّين . .

وأسأل الله عز وجل التوفيق والقبول .

أحمد محمد جمال

• صفـــر ١٤٠١ هـ
• يناير ١٩٨١ م



جهاد النفس أولاً

إن المسلمين — اليوم — أحوج ما يكونون إلى (وعي) حقيقة الجهاد الأكبر . . الذي هو في نظرنا دواء دائهم ، وقوة عيائهم ، ومجدد أمر دينهم ، وباعث عزائمهم ، ومحقق مكارمهم .. وبدونه — أو قبل ممارسته — لن يتحقق لهم نصر على عدوهم في حرب سياسية أو عسكرية ، مهما كانوا أكثر منه عدداً ، وأقوى سلاحاً !

ويرى (بعضهم) أن الحديث المشهور : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : جهاد النفس » وهو بلفظ آخر : « قدمتم خير مقدم . . وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : مجاهدة العبد هواه » — يرى بعضهم أن هذا الحديث ضعيف الإسناد . وقد رواه السيوطي في الجامع الصغير وحكم عليه بالضعف ، كما حكم به البيهقي والعراقي أيضاً .

فالحديث — في نظر هذا البعض — واه ضعيف ، وهو يعارض معارضة بينة قوله تعالى : « **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم — فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين**

درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً »(١) . (النساء/٩٥)

بينما يرى كثير من العلماء أن معناه صحيح . .

فالعلامة ابن القيم رحمه الله يقول في كتابه « الفوائد » تعليقاً على قول الله عز وجل : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » (٢) علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الأهواء الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته . . ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه » أ هـ .

أفلا نفهم من قوله : (أفرض الجهاد جهاد النفس) .

ومن قوله : « ولا يتمكن من عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً » ما يهدف إليه الحديث الذي ضعفوه : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . . جهاد النفس) ؟

---

(١) سورة النساء ــ ٩٥ .

(٢) سورة العنكبوت ــ ٦٩ .

ثم إن هزيمتنا أمام الشرذمة الباغية (إسرائيل) يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله في قوله : (ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا) وكأنه رحمه الله قد شاهد هزيمتنا ، ورأى أنها نتيجة انهزامنا أمام أنفسنا وأهوائنا والشيطان !

وكابن القيم يرى العلامة (المناوي) أن الجهاد الأصغر هو جهاد العدو المبين ، والجهاد الأكبر هو جهاد العدو المخالط – أي النفس – وهو رأي كثير من علماء السلف – رحمهم الله – الذين يرون أن معنى الحديث صحيح ، وإن كان من حيث السند ضعيفاً .

وتعقيباً على استدلال (بعضهم) بآية : « لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُون » نقول : إن فضل المجاهد على القاعد أمر غير منكر ، ولا خلاف بل لا اختلاف بيننا في هذا الفضل العظيم الذي ميز الله به المجاهدين على القاعدين .

وإنما نرى أن جهاد النفس يجب أن يسبق جهاد العدو ، كإعداد وتربية تمهد للقتال وتمكن من الانتصار . . كما نرى أن المسلم الذي يعجز عن مجاهدة أهوائه يعجز – بالتالي – عن مجاهدة أعدائه . . تماماً كما هو الحال في (الطهارة) لا تتم الصلاة إلا بها ، ومع ذلك فليست الأولى أفضل من الثانية . والقعود مجرداً ليس أفضل من الجهاد ، ولا القعود للتربية ، والاعداد أفضل من

الجهاد مطلقاً . . وإنما كانت الأهمية والأسبقية لجهاد النفس . . لأنه الوسيلة والمقدمة للانتصار في مجاهدة الأعداء .

فليلاحظ الفرق الواضح بين القول : إن القعود أفضل من الجهاد ، وهو بلا شك باطل . . حكم ببطلانه القرآن الكريم ، وبين القول : إن جهاد النفس مقدم وسابقٌ على جهاد العدو . وقريب من هذا المعنى قول أبي الطيب :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

كما جاء في الأمثال العربية الحكيمة (قبل الرماء تملأ الكنائن) وقولهم : (أعط القوس باريها)

الجهاد الأكبر : هو جهاد النفس :

وينقل الدكتور كامل سلامة الدقس – في كتابه عن (آيات الجهاد في القرآن الكريم) – مقالات الأئمة ابن القيم ، والباجوري ، وعبد الله بن المبارك ، والشيخ أبي زهرة ، والدكتور أحمد شلبي .. المتفقة على تسمية جهاد النفس بالجهاد الأكبر . .

فهذا عبد الله بن المبارك – رحمه الله – يفسر قوله تبارك وتعالى : « وجاهِدوا في الله حَقّ جهادِه » بأنه جهاد النفس والهوى . ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على

جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال صلى الله عليه وسلم : (المجاهد من جاهد نفسه ، والمهاجر من هجر ما حرم الله) كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاله .

وهذا الباجوري يقول : (الجهاد أي القتال في سبيل الله مأخوذ من المجاهدة ، وهي المقاتلة لإقامة الدين وهذا هو الجهاد الأصغر ، أما الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس . . فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا رجع من الجهاد : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) .

أجل إن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس – كما يرى ذلك كثير من علماء السلف والخلف ، وهذا لا يعني أن يقعد المسلمون عن قتال أعدائهم وخصماء دينهم ، بل يعني أن جهاد النفس هو المقدمة والوسيلة والسلم للجهاد الأصغر الذي هو جهاد العدو . . لأنه لا نتيجة بلا مقدمة ولا غاية بلا وسيلة ، ولا ارتقاء بلا سلم ولا انتصار على عدو إلا بقوة نفسية وأخلاقية ، ولا شجاعة إلا برأي حكيم .

والجهاد الأكبر هو جهاد النفس لأنك لا تجني من الشوك العنب ، كما يقول المثل العربي . . لا تجني من النفوس التي طمست بصائرها المعصية ، وشدت على ضمائرها القسوة . وعميت عليها

الأنباء والسبل ، وركنت إلى الشهوات والملاذ ـ إنك لا تنتظر من هذه النفوس : نفوس الجبناء والفساق : قوة أمام العدو ، ولا جرأة على القتال ، ولا صبراً على التضحية والفداء ، ولا رغبة في النصر أو الشهادة .

لذلك كان جهاد النفس أكبر من جهاد العدو ، فهو الذي يمهد له ويحققه ، ويجعله محبباً ميسوراً ، ويدفع بالرجل التقي الصالح ، إلى ساحة الجهاد ، وهو مبتسم فرح بلقاء العدو ، بل تراه في ميدان المعركة يتشمم ريح الجنة التي تنتظره إذا قتل شهيداً ، وتسمعه وهو يهتف : (هي ريح الجنة) .

وتراه . . وهو ينطلق إلى الجهاد ، قاذفاً بما في يده من طعام شهي ، أو هاجراً عروسه الجميلة الحبيبة ولما يكمل ليلته معها ـ كما حدث لحنظلة بن أبي عامر ـ أو متمنياً لقاء ولده المشرك ليقتله وابنه يتحاماه ـ كما حدث لأبي بكر رضي الله عنه في غزوة بدر . . إلى آخر تلك النماذج الصالحة المؤمنة التي رباها الإسلام على التقوى ، على جهاد النفس ، الجهاد الأكبر حتى كان الله ورسوله في مدرسته ، وصنعها الرسول على عينه ، وأنشأها القرآن الكريم في قلوبها وسلوكها أحب إليها من أنفسها وولدها والناس أجمعين .

فلا شيء إلا الجهاد الأكبر جهاد النفس أو (مجاهدة العبد هواه) ـ يجعل الرجل مؤمناً صادق الإيمان ، تقياً صحيح التقوى ،

جريئاً على لقاء أعدائه ، زاهداً في متاع الدنيا وزينتها ، مؤثراً الشهادة في سبيل الله على الزوجة والولد والحياة .

ومن هنا جاءت الآيات القرآنية تؤيد معنى الحديث ، وإن كان ضعيف الإسناد ، وجاء القرآن يحث على (التقوى) في آيات كثيرة مكررة ، كما يحث على (الإيمان) أيضاً — والإيمان والتقوى هما الجهاد الأكبر . . جهاد النفس . ولذلك قال الله عز وجل — في سورة الحجرات :

« **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا . .** » وقال بعد ذلك : « **وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » .(الانفال/٤٧)

فانتأمل قوله « ثم لم يرتابوا » فمعناه : أنهم آمنوا بالله ورسوله ، ولم يرتابوا فيما أمرا به وفيما نهيا عنه ، وفيما وعدا به من حسن المثوبة على صالحات الأعمال ، وهؤلاء الذين : « آمنوا . . ثم لم يرتابوا » هم المجاهدون أنفسهم ومجاهدتهم لأنفسهم هي الجهاد الأكبر ، لأنهم صبروا على شدائد الطاعات ، وفطموا أنفسهم عن لذائذ المنكرات ، وقاوموا مغريات الشح والبخل بالمال والنفس فبذلوها في سبيل الله عن رضى وسماح .

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه (الأم) كان الإجماع

من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة عن الآخر ، وإذن فهذه الثلاثة مجتمعة هي : الجهاد الأكبر . . جهاد النفس حتّى تؤمن بالله ورسوله وكتابه عقيدة وقولا وسلوكاً ، فتتقي محارمه ، وتتجنب معاصيه ، وتقبل على طاعاته وعباداته ، وتجاهد أهواءها الباطنة أو المخالطة – كما يقول المناوي – ثم تجاهد عدوها الخارجي . . حيث ترى الدنيا في عينيها رخيصة وما عند الله أبقى وأغلى وأجل .

* * *

ولئن قال أئمة السلف – فيما أوردناه من قبل – إن الجهاد الأصغر هو جهاد العدو الظاهر ، والجهاد الأكبر هو جهاد العدو المخالط ، أي النفس – فإن المفكرين ، من خلف الأمة الإسلامية لا يختلفون عن سلفهم ، فيما تبين لهم من أن جهاد النفس أفرض من جهاد العدو الخارجي ، على حد تعبير ابن القيم رحمه الله .

يقول الدكتور محمد البهي : (إن جهاد المسلمين اليوم يكفي أن يكون في المرحلة الأولى – لضعفهم في حاضرهم – جهاداً بيقظة العقل والقلب ، وبالدعوة واللسان ، حتى لا يقع بعضهم في صداقة أو مودة لأصحاب الاتجاه الراديكالي الماركسي ، أو الاتجاه العلماني الرأسمالي فعدم الولاء لأي من الجانبين ،

الراديكالي والرأسمالي هي الصورة التي يجب أن يبرز فيها جهاد المسلمين اليوم في سبيل الله) (١) .

والدكتور البهي يشير بذلك إلى أخطار الغزو الفكري في النظامين الرأسمالي والشيوعي ، ويطالبنا بمواجهته تعليمياً وتربوياً – وذلك ما قلنا آنفاً أنه يجب أن نتعلم الرمي قبل أن نضرب ، ولا نرمي وكنائننا فارغات .

وهذا الدكتور الحبيب بن الخوجة مفتي تونس – وعميد كلية أصول الدين سابقاً يقول – في ندوة تلفازية سنة ١٣٩٠هـ (إن الجهاد النفسي كان هو الجهاد الأساسي للمسلمين في مكة المكرمة ، ثم تحول إلى معنى القتال في المدينة المنورة ، لأن الظرف اقتضى ذلك) .

– وهذا (الدكتور علي الشابي) وهو مدرس بالكلية أيضاً – يقول : إن الجهاد القتالي قبل الإعداد بالجهاد النفسي ، أي التربوي السلوكي – عبث لا جدوى منه ، ولا انتصار فيه .

– وهذا الدكتور (الحبيب الهيلة) – زميلهما في الندوة والكلية – يقول أيضاً : إن القرآن الكريم ذكر شروطاً للانتصار في الجهاد القتالي ، وذلك في سورة الأنفال ، في قوله عز وجل :

---

(١) فى بحث له عن (الجهاد ٠٠) نشرته مجلة الوعى الاسلامى العدد : ٦٦ سنة ١٣٩٠هـ ٠

« وأطيعوا الله ورسوله – ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم – واصبروا إن الله مع الصابرين – ولا تكونو ا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

– وفي مقال للعلامة الأستاذ أبي الحسن الندوي بعنوان : (الحقيقة) نشرته (الرائد) الهندية – يعزو فضيلته تخلف المسلمين عن الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، وتحمل المشاق وتجرع المرائر في هذا السبيل – يعزو ذلك إلى عبادتهم للمادة وحب الدنيا ، وتأثرهم بالحضارة الغربية وزخارفها ومتعها !

وفي محاضرة بعنوان : (الإسلام ومعركة المصير) ألقاها الدكتور أحمد شوقي الفنجري – بالكويت ونشرتها مجلة (النهضة) الكويتية – يقول المحاضر : ان الله قد جعل لنا من حرب إسرائيل امتحاناً لكي ينبهنا إلى (أهمية) الرجوع إليه ، والاستعانة بتعاليمه حتى نصل إلى النصر ، وليس القصد من (معركة المصير) ما اصطلح عليه بعض الساسة من تسميته (بمشكلة الشرق الأوسط) أو انسحاب إسرائيل إلى حدود ٦٧ أو ٤٨ – ولكن معركة المصير تبدأ من الأعماق لا من السطح ، ومن نقطة الصفر لا من آخر المطاف . إنها معركة يجب أن تبدأ مع أنفسنا قبل أن تبدأ مع أعدائنا . تبدأ بإعادة تربية الفرد ، وبناء المجتمع ، وإصلاح الدولة وبعث أمة جديدة لها عزة وهيبة وبأس ! !

ويقول الدكتور مصطفى عبد الواحد ـ في مقال نشرته له مجلة رابطة العالم الإسلامي ـ (إن أفضل الجهاد في عصرنا : هو الوقوف أمام هذا الغزو الفكري الذي توجهه الحضارة الغربية المادية ، ـ ويستهدف القضاء على كيان المجتمع الإسلامي ، وذلك بفضح خططه وأساليبه ، وتحذير المخدوعين ببريقه . . من التهلكة التي يلقون بأنفسهم فيها) .

* قلت : وهكذا يظل الحديث الذي ضعفوه سنداً ـ صحيح المضمون قوي الإعجاز . . لأن تجارب التأريخ الإسلامي ، منذ عهد النبوة إلى اليوم تؤكد أهمية (التربية النفسية) ، والإعداد الخلقي ، في عملية الانتصار على الأعداء .

كما نرى الإجماع منعقداً ـ بين فقهاء السلف والخلف ، على أن التربية الدينية ، والإعداد الخلقي ، والتزكية النفسية . . هي الجهاد الأكبر ، الذي يسبق الجهاد الأصغر جهاد العدو الظاهر .

الجهاد الأكبر : فى نظر العسكريين :

وكلنا يعرف القائد العسكري المؤمن اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي كتب في مجلة (الوعي الإسلامي) سلسلة من التحليلات العسكرية والسياسية والأخلاقية الرائعة عن هزيمة العرب في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ تجاه إسرائيل .

هذا العسكري العربي المفكر المؤمن . . الذي ألف العديد من الكتب القيمة عن الرسول صلى الله عليـــه وسلم ، وعن الفتوح والغزوات الإسلامية الأولى . . وعن أسرارها ونتائجها – يقول في إحدى مقالاته – بمجلة الوعي الإسلامي : إنه لا قيمة للسلاح بدون إنسان ، ولا قيمة للإنسان بدون إيمان ، ولا يزال الإنسان هو المسيطر على كل سلاح وعتاد ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح ولكل عتاد . ولكن الإنسان بدون عقيدة تجمع شمله ، وترص صفوفه ، وتوحد كلمته ، وتشيع فيه الانسجام الفكري الذي بدونه لا يكون تعاون ولا اتحاد هذا الإنسان بلا عقيدة لا قيمة له من الناحية العسكرية . وهذه العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان ويضحي من أجلها بالنفس والمال . ولأن نفس الإنسان هي أغلى ما يملكه . . فمن المستحيل أن يضحي بها إلا إذا كانت له عقيدة راسخة ، وأهداف سامية . وحين كان العرب قادة وجنوداً وأفراداً وشعوباً متمسكين بعقيدتهم السماوية فتحوا العالم ، وقادوا الحضارة العالمية ، وحين تخلى العرب عن عقيدتهم . . تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على الثريد .

• قلت : هذا هو ما يعنيه (الجهاد الأكبر) . . جهاد النفس (١) في الحديث الذي يرتاب بعض العلماء الأفاضل في صحة معناه .

---

(١) هذا البحث كان فى الاساس حوارا بينى وبين الدكتور محمد امين المصرى رحمه الله وهو يحمل دكتوراة فى علم الحديث من لندن .

وفي كتاب (الطريق إلى القيادة) الذي وضعه « مونتغومري» أبرز قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) يقول المؤلف : إن القائد يجب أن يكون متمسكاً بمثل عليا ، وبالفضائل الدينية ، كما يجب أن تكون حياته الخاصة فوق الشبهات لكي يحترمه الذين يقودهم ، والميزة الأولى للقائد الناجح إخلاصه ، ونكران ذاته ، وولاؤه التام للقضية التي يخدمها ، وقد كان نجاحي نتيجة لتمسكي بديني وعقيدتي الروحية ، وبالخلق الفاضل » .

* * *

وفي دروس التاريخ الإسلامي ، من خلال المعارك الإسلامية الأولى . . نجد صوراً أو عبراً تؤيد كون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس بمعنى تربيتها وتقويمها على الإيمان والطاعة والصبر والمصابرة والتزام المباديء والأوامر التي تصدر من القائد الأعلى ، أو الرئيس أو الأمير أو الخليفة .

إن انهزام الجيش الإسلامي في معركة أحد وغزوة حنين . مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قائدهم ورائدهم – كان انهزاماً أخلاقياً أساساً ثم عسكرياً تبعاً . فقد خالف الرماة أمر الرسول بعدم ترك الجبل والتزامه ، ولو رأوا الطير تتخطف الجيش ، أو حتى لو رأوهم منتصرين . . فنزلوا عن الجبل ، والتف عليهم خالد بن الوليد وكان يومذاك قائد فرسان المشركين ، فكانت الهزيمة – لأن الرماة لم يجاهدوا أنفسهم وأهواءها في الرغبة في مشاركة المسلمين في جمع الغنائم .

وفي غزوة حنين أعجبت المسلمين كثرتهم ، فقالوا : لن نهزم أو نغلب اليوم من قلة . وقد منعهم أدب الإسلام من الاغترار بقوتهم أو كثرتهم ، لأن النصر من عند الله . فانهزموا تأديباً وتربية لهم ، و سجل القرآن الكريم الحادثة تذكيراً للملسمين من بعدهم ، وتحذيراً من العجب والخيلاء ، والاعتداد بالنفس ، وترويضاً على الإيمان بالله ناصراً ومعيناً : « . . **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » .(التوبة/٢٥)

ومن تجارب المسلمين الحديثة : حربهم مع إسرائيل منذ ١٩٤٨ حتى اليوم ، انها مصداق لمعنى الحديث الذي يضعفون إسناده ، فنحن العرب : أكثر من مئة مليون نحارب إسرائيل التي لا يزيد عدد سكانها على مليونين ، نحارب دويلة حقيرة صغيرة ولا ننتصر عليها ، بل هي التي تنتصر علينا ، وتسلبنا أرضاً جديدة من أرضنا ، ونظل نشكو إلى من لا ينصفنا !

ولو كنا نجاهد أنفسنا لتحكيم (الإسلام) في أخلاقنا و أسرنا ومجتمعاتنا ، وصبرنا على طاعاته ، وهجرنا لذائذ معصياته — لتهيأنا للجهاد الأصغر ، وهزمنا عدونا في المعركة الأولى !

الحديث الضعيف : خير من آراء الرجال :

أما كون الحديث ضعيف الإسناد . . فنرى الإمام أحمد رحمه الله يقول عن الحديث الضعيف : (إنه خير من آراء الرجال) ولذلك يؤخذ به في فضائل الأعمال . كما نجد الإمام أبا حنيفة رحمه الله يقدم الحديث الضعيف على القياس الذي هو الأصل الثالث من أصول التشريع الإسلامي .

ويقول الإمام الشوكاني : (قدم الأئمة الأربعة الحديث الضعيف على الرجوع إلى الرأي ، كما روي عن الإمام أبي حنيفة أنه قدم حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وحديث الوضوء بنبيذ التمر ، وحديث أكثر الحيض عشرة أيام ، وحديث لا مهر دون عشرة دراهم مع ضعفها جميعاً باتفاق المحدثين . وقدم الإمام مالك الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس . وقدم الشافعي حديث تحريم صيد (وج) على القياس مع ضعفه ، وقدم الإمام أحمد الحديث الضعيف والأثر المرسل وقول الصحابي على القياس (١) .

ومن ناحية أخرى نرى أن الحديث الضعيف عند هذا الإمام أو ذلك الفقيه صحيح عند إمام أو فقيه آخر . وربما كان – من وجهة نظر بعضهم صحيح المعنى ، أو أنه مؤيد بسنة متبعة ،

---

(١) عن كتابه (قطر الولى فى حديث الولى ص ٢٩٦) .

أو عمل جار ، أو بآيات أو أحاديث أخرى (١) .

وهناك أحاديث نبوية صحيحة السند . . عارضتها في المعنى أحاديث مثلها صحيحة السند ، فاضطر العلماء والفقهاء إلى تأويلها للجمع بينها ، أو إلى القول بنسخ المتأخر للمتقدم منها .

ولا شك أن نظام الجرح والتعديل – أي معرفة رجال الحديث النبوي بما يسمى مصطلح الحديث هو ما امتازت به الشريعة الإسلامية على كافة الشرائع والأديان . . إذ به حفظت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي هي الأصل الثاني للتشريع الإسلامي ، كما تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن من التحريف : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » (٢) . (الحجرات/٩)

والحديث موضوع البحث – وإن كان ضعيف الإسناد . . إلا أنه صحيح المعنى ، سليم المتن – ولا نزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قاله ، ولكنا نرى أن آيات كثيرة من القرآن وأحاديث نبوية أخرى وتأريخ الصحابة – تؤيد معناه .

جهاد النفس : فرض عين :

ويجب أن لا يغيب عن البال أن جهاد العدو فرض كفاية ، بينما جهاد المسلم لأهوائه فرض عين ، كما أن الأول مؤقت

---

(١) كتاب علوم الحديث النبوى للدكتور صبحى الصالح .
(٢) سورة الحجر – ٩ .

والثاني دائم . . لأن القتال استثناء ، والسلام – في الإسلام – هو القاعدة . وإصلاح الأنفس وتربيتها على الحق والعدل والخير وإعدادها للدعوة الإسلامية قولا وعملا وحكماً وسياسة هو المطلوب دائماً ، من أجل سعد المجتمع الإسلامي ، وترشيد أفراده ، وجعله مثالا يحتذى صِدْقاً وعدلا ، ومروءةً وفضلا .

وفي الحديث النبوي الذي أخرجه أحمد والترمذي ومالك في الموطأ وابن ماجة والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير – عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله) .

إن هذا الحديث النبوي يجعل (ذكر الله) فوق كل الأعمال الصالحة الأخرى بما فيها لقاء العدو وضرب أعناقه ، وهو يعتبر تفسيراً لقول الله عز وجل : « **ولذكر الله أكبر** » (العنكبوت ٤٥) أي أكبر من كل ما سواه من الأعمال الصالحات .

وإذا تأملنا ما يعنيه (ذكر الله) تبارك وتعالى تجلت لنا الحكمة الكبرى ، والعبرة العظمى . . في قول الله وقول رسوله عن (الذكر) وأهميته وأعظميته وأكبريته على كل الأعمال الصالحة بما فيها جهاد العدو . .

فذكر الله ليس هو التسبيح والتهليل والتكبير باللسان وحده وإنما هو ذكره بالعمل والطاعة والسلوك ، وامتثال أمره ، واجتناب زجره ، وبذلك يكون ذكر الله تربية ورياضة على بقية الأعمال الصالحة الأخرى ، التي تأتي ثمرة ونتيجة لذكر الله ، بما فيها لقاء الأعداء ،.والثبات في الميدان ، والإقدام على طلب الاستشهاد .

وبهذا يتبين لنا صواب معنى الحديث الذي سمي جهاد النفس جهاداً أكبر . لأن جهادها بمعنى تربيتها وإعدادها للخير سلماً ، وللنصر حرباً – لن يكون إلا بذكر الله وطاعة لأمره ، وانتهاء عن زجره ، وتسبيحاً بحمده ، وتكبيراً لمجده ، وخوفاً من سخطه ، ورجاء لرضاه .

وفي الحديث النبوي : (أفضل الجهاد : كلمة حق عند سلطان جائر) وكلمة الحق هنا تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو لون من ألوان الجهاد الأكبر جهاد النفس ، وأفضل هذه الألوان من جهاد النفس : أن يكون الأمر والنهي موجهين إلى سلطان مرهوب البطش .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر – من تداعي الأمم علينا ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، على الرغم من كثرتنا ، فنحن غثاء كغثاء السيل ، وذلك لانكبابنا على حب الدنيا وملذاتها ، وانتزاع مهابتنا من قلوب أعدائنا .

مجالات أخرى للجهاد الأكبر :

وفي الحديث النبوي أيضاً – أن شاباً قوياً مر بين أيدي الصحابة والرسول عليه الصلاة والسلام معهم ، فقال بعضهم : لو كان هذا في سبيل الله ! أي تمنّوْا أن يكون شبابه وجلده ونشاطه جهاداً في سبيل الله . فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوضح لهم أن الجهاد في سبيل الله ليس هو لقاء العدو في الميدان وحده ، فهناك ألوان من الجهاد في سبيل الله قد تساوي أو تفضل مجاهدة الأعداء في معترك القتال . قال عليه الصلاة والسلام : إنه إذا كان يسعى على نفسه يكفها عن سؤال الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين فهو أيضاً في سبيل الله – أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

فهذا نموذج تربوي نبوي يعطينا الدليل الساطع على أن السعي على النفس أو الأهل للاستغناء والتعفف عن سؤال الناس ، وللاستعلاء على هوان الحاجة – هو جهاد في سبيل الله يضارع جهاد الأعداء – بل يفوقه ويسبقه وإلا لما دافع الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وأبرأ ذمة الشاب من الملامة عليه .

والنموذج الثاني من التربية النبوية على جهاد النفس : شاب آخر جاء إليه صلى الله عليه وسلم . . يستأذنه للجهاد في سبيل الله ؟ فسأله الرسول : أحي والداك ؟ قال نعم ، قال . فيهما فجاهد ! !

هذا التوجيه النبوي له نفس دلالة الأول ، ويزيد عليها بتقديم المجاهدة في سبيل إغناء الأبوين عن ذل الحاجة وهوان المسألة على الجهاد في الميدان .

إن الحديث الأول يوجه إلى أن الجهاد في سبيل الله أنواع شتى ، وليس هو الجهاد مع العدو وحده . . فالجهاد لصيانة الوجه من ذل السؤال . . وللتكسب بطريق الحلال ، والجهاد لرعاية الأبوين وبرهما وإكرامهما عن الحاجة – هما جهاد في سبيل الله كجهاد العدو تماماً ، بل يفضلان عليه .

أما الحديث الثاني فصريح في إيثار الجهاد بالعمل المعيشي من أجل الكرامة النفسية والعائلية ، وحفظها من ذل الفاقة ، وهوان المسألة – إيثار ذلك على جهاد العدو ، إذ قال عليه الصلاة والسلام للشاب (ففيهما فجاهد).ولم يأذن له بالخروج إلى المعركة .

ونخلص من هذين النموذجين للتربية النبوية الرشيدة إلى تأكيد ما سبق من أن مجاهدة النفس وتربيتها على الإيمان والتقوى ، وعلى الخلق الكريم ، وعلى العزة والإباء وعلى السعي الجاهد للتكسب والاحتراف . . من أجل الاستغناء عن المسألة ، والارتفاع على مذلتها وهوانها – إن مجاهدة النفس وتربيتها على نحو ذلك هو الذي يليق بالمسلم وهو المقدمة والسابقة والوسيلة إلى إمكان مجاهدة العدو الخارجي ، على حالة من التقوى والكرامة والعزة والقوة ، تعين على الانتصار عليه .

ذلك أن النفس التي أذلتها الحاجة ، أو أخلدت إلى المزيد من الشهوات والملاذ والأهواء ، وأقعدها الكسل والجبن عن التكسب الحلال والاحتراف الكريم ، أو لازمها عدم الاهتمام بواجب أو حق فرضه الله عليه نحو أسرتها وفي مقدمتها الوالدان — هذه النفس ليست جديرة ، بل ليست قديرة على مجاهدة الأعداء في ميدان القتال . .

ونضيف إلى ما أسلفنا من معان متعددة لكلمة الجهاد في الحديث النبوي ، وتفضيل أو تقديم لنوع منه على نوع ، وتأكيد للمقصود الأكبر من مقاصده — وهو جهاد النفس — نضيف إلى ما سلف : قوله صلى الله عليه وسلم : (المجاهد من جاهد هواه ، والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه) ، وقوله : (لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله تعالى ، ومن إعطاء الماء سحا) وهذا الحديث يؤيد حديث أبي الدرداء الذي سبق إيراده : ألا أُخبركم بخير أعمالكم الخ . . وقوله : (أفضل الجهاد الحج) .

وسئل سفيان الثوري رحمه الله : الرجل يتعلم القرآن أحب إليك أو يغزو في سبيل الله ؟ فقال بل يتعلم القرآن .

* * *

ولنلاحظ هنا : أن سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الراشدى الثاني — والرجل الملهم وصاحب الموافقات — كان إذا بعث بعوثاً لقتال العدو . . يحذر جنده ، من ارتكاب المعاصي ، ويقول

لهم : إنكم لا تنتصرون على عدوكم بكثرة ولا قوة ، فإنهم أكثر منكم عدداً وأقوى سلاحاً ، وإنما تنتصرون عليهم بطاعتكم لله ، ومعصيتهم له ، فإذا استويتم معهم في المعصية انتصروا عليكم بكثرتهم وقوتهم !! .

الحديث .. ليس صارفا عن جهاد العدو :

وربما قال بعض المعارضين أن المستعمرين وجدوا في هذا الحديث الضعيف سنداً ، والذي يصحح كثير من العلماء معناه ــ وجدوا فيه صارفاً للمسلمين عن الجهاد الحقيقي . . الذي هو جهاد العدو وذلك بتصويره جهاداً أصغر كما جاء في لفظ الحديث .

قلت : إن المستعمرين كانوا أذكى وأوعى لمعنى الحديث الذي قيل أنه ضعيف الإسناد ــ فذهبوا منذ زمن طويل يحببون إلى المسلمين اللذائذ والشهوات وانتهاك الحرمات ، واختلاط الأولاد بالبنات ، ويطعنون في أحكام الإسلام وآدابه ، وبذلك أسكتوا في نفوسهم هاتف (الجهاد الأكبر) ، جهاد النفس ، فانغمس المسلمون في متع الحضارة الغربية المادية ، وشغفوا بزخرفها . . فكان ما كان من ضعفهم عن الجهاد الأصغر ، وانهزامهم أمام أحقر الدول وأذل الشعوب .

وبين أيدينا بروتوكلات سفهاء صهيون (١) ، وأعمال

---

(١) افضل ابدال كلمة (حكماء) بكلمة (سفهاء) فهم بالسفاهة احق ، وبأخلاقها اولى . المؤلف .

المبشرين ، ومفتريات المستشرقين : شواهد قائمة على صدق ما نقول من حذق أعدائنا في معرفة حقيقية (الجهاد) التي صرفونا عنها باسم التطور والتحضر ، والتحرر من مكارم الأخلاق ، التي بعث من أجل إتمامها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنزل علينا القرآن الكريم .

أما قول المعارضين : إن الحديث يعطي الطمأنينة ، ويحبذ القعود للمسلمين — فهو إن كان له هذا الأثر فذلك بالنسبة للمسلمين المحسوبين على الإسلام بإنسانيتهم أو بشهادات ميلادهم الذين ارتابوا في دين الله ، فآمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعضه . أنهم لا يكفون عن معصية . ولا يفرون إلى طاعة ، وإن صلوا وصاموا . . فليس لهم من صلاتهم إلا القيام والقعود ولا من صيامهم إلا الجوع والعطش ، لأنهم لم يصدقوا لله إيماناً ، ولم يخلصوا لرسوله اتباعاً .

وبعد . . فأحمد الله إن أصبت ، وأستغفره إن أخطأت . وفي الوقت نفسه أدعو رجال الفكر والعلم إلى مناقشة هذا الموضوع المهم الذي هو مشكلة المسلمين الأولى — اليوم — وقضيتهم الكبرى ، ومناط تقدمهم أو تخلفهم ، وانتصارهم أو انهزامهم أمام التيارات الفكرية السياسية المعادية المهاجمة . والله الموفق والمستعان .



الإسلام دين السلام



نتحدث خلال هذا الفصل عن اهتمام الإسلام في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالسلام الداخلي في مجتمعاته الإسلامية ، وبالسلام الخارجي أيضاً – بين دول العالم جميعاً .

ونشير – في البداية – إلى حالة الناس قبل مجيء الإسلام . . فقد كان العالم يعيش في حروب حارقة ، تسفك فيها الدماء ، وتقتل الأطفال والشيوخ والنساء ، وتنهب الأموال ، وتخرب الدور والقصور ،وتنمو العداوات والأحقاد بين الدول والجماعات والأفراد .

– فبين دولتي الرومان والقوط حرب مشتعلة .

– وشبه جزيرة البلقان هدف لعبث البرابرة .

– وهجمات الألمان تتتابع على الطليان .

– والاسكتلنديون يعتدون على الانجليز .

– والروم والفرس في حروب نامية مستمرة .

ـ وجزيرة العرب تشتعل بين قبائلها الحرب لأسباب عصبية تافهة . . كحرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب من أجل ناقة ، وقد دامت أربعين سنة ذهب خلالها الآلاف من الشباب والنساء والأطفال . . ومثلها حرب داحس والغبراء وأمثالها كثيرة . .

هذه بإيجاز شديد ـ حالة العالم ـ في صراع دام ودائم ـ قبل أن يبعث نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم . . رسول أمن وإيمان إلى الناس جميعاً : « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** »(١) .

السلام الداخلى أولا :

وبدأت الرحمة الإلهية ممثلة في الرسالة والرسول داخل المجتمع الإسلامي للاستفادة الذاتية أولا ـ ثم الاستعداد والاعداد للتبشير بها ، وتعميمها بين الناس جميعاً خارج هذا المجتمع الجديد الرشيد . .

لأن الإسلام يقوم على اتحاد القول والعمل ، واتفاق العقيدة والسلوك . . ويأبى أن يكون رجاله ودعاته « **تقولون ما لا تفعلون** » بل يمقت مقتاً كبيراً من يكون هذا خلقه: « **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** » (٢) . (٢) .

---

(١) الانبياء : ١٠٧ .

(٢) الصف : ٣ .

. . ولأن فاقد الشيء لا يعطيه فقد ربى الإسلام أتباعه على حب السلام، واتخاذ وسائله ومقدماته المؤدية إليه، المحققة له. وبدأ بالرسول نفسه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل عليه في القرآن الكريم هذه التوجيهات السلمية ليتخذها سبيلا للدعوة إلى الله :

– **« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » (١) .**

– **« إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » (٢)** . (الغاشية/٢٢)

– **« وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »(٣) .**
(ق/٤٥)

فالرسول صلى الله عليه وسلم مأمور منذ بعثته : أن يبلغ رسالته بالحسنى ، وأن يحاول إقناع من يدعوهم إلى الإسلام ، وإذا جادلوه أن يرد عليهم بالتي هي أحسن ، وكذلك أصحاب الرسول وأتباعه مأمورون أيضاً عندما يدعون أحداً إلى الإسلام أو يحاورونه حول هذا الدين الجديد الرشيد – أن يجادلوا هؤلاء المعارضين بالحسنى : **« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم . . وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا**

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الغاشية : ٢١–٢٢ .

(٣) ق : ٤٥ .

وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد . ونحن له مسلمون » (١) .

كانت هذه هي الخطوة الأولى ، أو المرحلة الأولى لتربية المسلم على حب السلام واتخاذ الوسيلة المؤدية إليه ، والابتعاد عن الخصام والصدام مع المخالفين داخل المجتمع الإسلامي . . فلا دعوة إلى الإسلام إلا بالحسنى ، ولا جدال مع المعارضين إلا بالتي هي أحسن .

وكانت الخطوة ـ أو المرحلة ـ الثانية التي خطاها نبي الإسلام ورسول السلام نحو تحقيق الأمن الداخلي في مجتمع المسلمين هي إعلانه : أن (الناس سواسية كأسنان المشط) وقرأ على أصحابه وأتباعه ما أنزل الله عز وجل عليه من مباديء الوحدة الإنسانية وحقيقة التفاضل بين الناس . . هذا التفاضل الذي يقوم على الإيمان بالله أولا ، ثم العمل الصالح ، والإحسان إلى الناس ، واجتناب المظالم والمآثم . . لأن هذا السلوك المفضل في نظر الإسلام هو الذي يحقق السلام في المجتمع الإنساني حيث لا تكون إساءة من كبير لصغير ، ولا ظلم من قوي لضعيف ، ولا اعتداء على حق إنسان في مال أو عرض أو نفس ـ يقول الله تبارك وتعالى : **« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »** . (الحجرات/١٣)

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .

وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية متعددة ومؤكدة للوحدة الإنسانية ، وكلها تهدف إلى انتزاع عصبية الجنس واللون والطبقة من صدور الناس ، وإقرار المحبة فيها على أساس الإخوة الإنسانية والدينية معاً . . لأن الإسلام هو أيضاً دين التوحيد . . والتوحيد يعني ألا يتنازع الإنسان آلهة متعددة . . إنما هو إله واحد يخضع له ويركع ، ويتجه إليه دون وسيط ولا شفيع ولا شريك بكل حاجاته ومشكلاته :

— « **إن إلهكم لواحد . . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق** » . (الصافات/٥)

— « **لا إله إلا هو يحيي ويميت . . ربكم ورب آبائكم الأولين** ».

— « **ذلكم الله ربكم . لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل** » . (الانعام/١٠٢)

وإذا تحققت الوحدة الدينية والوحدة الإنسانية في المجتمع البشري تحقق السلام بين قطاعات هــذا المجتمع ، وبين أفراده . . فلا زعامات ورئاسات وقداسات تعبد من دون الله ، وتخاف وترجي ، وتنــافق طلباً لرضاها أو خوفاً من بأسها — وكذلك لا طبقات بعضها فوق بعض لمجرد السلطان أو الجاه أو الغني أو اللون الأبيض . . إنما هو مجتمع إنساني واحد راشد ، كما رسمه القرآن ورباه الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل قوله :

– أيها الناس . . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . ليس لعربي على عجمي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) . وفي مثل قوله أيضاً :

– (ليس لابن البيضاء على ابن السوداء سلطان إلا بالتقوى) .

• • •

ولم يكتف القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بتربية المسلمين على مقاومة العصبية والقومية في أنفسهم وحدهم – بل ذكرهم القرآن بما ينتهجه اليهود والنصارى من عصبية دينية يكرهها الإسلام أيضاً مع كراهيته للعصبية الجنسية والقومية .

يقول الله عز وجل :

« وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » . (البقرة/١١٣)

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق » . (المائدة/١٨)

« وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . تلك أمانيُّهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . (البقرة/١١١)

ثم أرشدهم القرآن إلى الموقف السليم الكريم الذي يجب أن يقفوه من أصحاب الأديان الأخرى ورسلهم وكتبهم — في قول الله تبارك وتعالى : « **آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** » .

(البقرة/ ٢٨٥)

وهناك خطوتان أُخريان من خطى السلام داخل المجتمع الإسلامي تتخذان تمهيداً وإعداداً — كما أسلفنا — لتحقيق السلام العالمي خارج المحيط الإسلامي . . هما التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر ، والتواصي بالحق بين أعضاء المجتمع ، وإقامة الحدود وإنزال العقوبات على الذين يحاولون باعتداءاتهم على الأنفس والأعراض والأموال أن يزلزلوا أمن الناس ، ويعيثوا في الأرض فساداً .

ولا نريد أن نطيل الحديث عن هذين الركنين العظيمين من أركان السلام الداخلي في المجتمع الإسلامي — فهما معروفان لا يجهلهما حتى الدارس المبتديء لنظام الحكم في الدولة الإسلامية ، وأدلتهما من القرآن والسنة النبوية معلومة أيضاً ترددها باستمرار ألسنة الخطباء ، وأقلام الكتاب . .

وحسبنا أن نشير إلى آيتين من القرآن الكريم تؤكدان النتائج والثمرات المباركة لتلك الخطى العملية التي يخطوها نظام الحكم

الإسلامي في المجتمع لتحقيق السلام الداخلي – وهما قوله عز وجل :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »(١) . (الأنعام/٨٢)

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً »(٢) .

(النور/٥٥)

فالأمن الداخلي يتحقق في المجتمع الإسلامي مع توحيد العقيدة في الخالق عز وجل ، ووحدة المخلوقين ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وإنكارهم للإثم والعدوان – ويتحقق لهم إلى جانب الأمان : السلطان أيضاً بمعنى الخلافة العادلة والملك الرشيد . .

ثم السلام الخارجى :

يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان : ليس هناك دين دعا إلى السلام كما دعا إليه الإسلام ، ولا مذهب من المذاهب السياسية الحديثة أو القديمة أسهم في تدعيم السلام كما أسهم الإسلام(٣) .

---

(١) سورة الانعام : ٨٢ ·
(٢) سورة النور : ٥٥ ·
(٣) عن كتاب الاسلام والامن الدولى ·

ويذكر الأستاذ السمان : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستطيع أن ينتقم من جبابرة قريش في عودته إلى مكة المكرمة عام الفتح منتصراً على الذين أخرجوه وأصحابه من مكة ، وآذوهم وعذبوهم ، وحصروهم قبل إخراجهم كما استولوا على أملاكهم وأموالهم – ولكنه لم يفعل وآثر المسالمة معهم والعفو عنهم . .

وقبل الفتح . . عندما أراد وأصحابه أن يقدموا إلى مكة معتمرين واقتربوا منها بعد رحلة طويلة وشاقة من المدينة ، ونزلوا بالحديبية – ردتهم قريش ، وهم قادرون على أن يدخلوا مكة عنوة . . واستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لمطلب المشركين أن يعودوا عامهم هذا على أن يعتمروا العام القابل . . على الرغم من كراهية معظم الصحابة المرافقين للنبي صلى الله عليه وسلم لذلك حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (علام نرضى الدنية في ديننا يا رسول الله) ؟ فرد عليه النبي : بأنه رسول الله ، ولن يخذله . وقد نزل في ذلك قرآن يتلى أبد الدهر يبين حكمة مسالمة الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش بالعودة والاعتمار من العام القابل في قوله عز وجل : « **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**»**(١)** . (الفتح/٢٥)

أي أن الرسول وأصحابه لو دخلوا مكة عنوة واشتبكوا

---

(١) الفتح : ٢٥ .

مع أهلها في حرب – لسالت دماء بريئة ولأزهقت نفوس زكية .
ولكن لا بأس بالانتظار للعام القابل ، وسيعقب العمرة التي تتم
في سلام وهدوء فتح مبين ، هو فتح مكة . . وقد عفا الرسول
فيه عن أعدائه الذين آذوه وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم ،
وقال لهم : (اذهبوا . . فأنتم الطلقاء . .) .

• • •

ولا أدل على حب الإسلام للسلام ، وحرصه على تحقيقه
في المجتمعات الإنسانية كلها – من إقدام الرسول صلى الله عليه
وسلم عند مقدمه إلى المدينة على إبرام معاهدة سلام بين المسلمين
واليهود المقيمين في المدينة ، وإعطائهم الأمان في أنفسهم وأموالهم..
ما التزموا بالوفاء ، ولم يغدروا أو يخونوا .

وإذا تأملنا القرآن الكريم وجدناه – في آيات عديدة – يوجه
المسلمين إلى البر بأهل الكتاب من يهود ونصارى ، والإذن لهم
بالزواج من نسائهم والأكل من طعامهم – وقد تزوج الرسول
صلى الله عليه وسلم نفسه بمارية القبطية – وهي نصرانية – وصفية
بنت حُيَيّ بن أخطب اليهودية بعد أن رضيتا بالإسلام ديناً ،
وآمنتا بمحمد نبياً ورسولا .

يقول الله تبارك وتعالى :

« لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم

من دياركم : أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين»(١)
(الممتحنة/٨)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » (٢) .(العنكبوت/٤٦)

والآيتان واضحتان في الأمر بالبر والمسالمة لمن سالم وأحسن المعاملة ، أما الظالمون المعتدون ، الغادرون بالعهد ، المخرجون للمسلمين من ديارهم . . فلا بر لهم ولا إقساط معهم ، والجزاء من جنس العمل . أو كما قال عز وجل : **« وجزاء سيئة سيئة مثلها »(٣)** .

وإلى جانب ما يوجه إليه القرآن من إحسان معاملة أهل الكتاب – نرى النبي صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين من إيذائهم في قوله : (من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة) وقوله : (من قذف ذمياً حد له يوم القيامة بسياط من نار) .

وقد سار الخلفاء الراشدون على منهج الرسول الكريم في مسالمة أهل الكتاب . . فجدد أبو بكر عهد الأمان لنصارى نجران باليمن ، وأعطى عمر بن الخطاب لنصارى إيليا ببيت

---

(١) الممتحنة : ٨ .
(٢) العنكبوت : ٤٦ .
(٣) الشورى : ٤٠ .

المقدس أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، كما أعطى القائدان العسكريان المسلمان خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح الأمان لأهل الشام والحرية في العقيدة والعبادة والعمل للكسب والمعاش ، على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ومما يروى في تاريخ الخلافة الراشدة أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب لأبي عبيدة يقول له : امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحقها ، ووفهم شرطهم الذي اشترطت لهم في جميع ما أعطيتهم .

الاسلام : سلام حتى على مخالفيه

وعندما نتأمل الفرق بين نظام الإسلام السياسي وبين الأنظمة السياسية الأخرى – القديمة والحديثة – نجد هذا الفرق واسعاً شاسعاً في مجال العلاقات الدولية التي بسببها تثور الأحقاد والعداوات ، وتنشب الفتن والحروب ، وتتغلب الأغراض الأنانية والمطامع الاستعمارية . .

فإن ما سمى بالغزوات أو الفتوحات الإسلامية في العهد النبوي وعهود الخلفاء الراشدين وما بعدها – لم تكن أهدافها استعباد الشعوب الأخرى ، واستغلال خيراتها الزراعية والصناعية ، وإخضاعها لسلطان المسلمين كأمم محكومة مقهورة . . كما يزعم أعداء الإسلام من مستشرقين ومستغربين – وإنما كان عكس ذلك هو المقصود والمنشود . .

كانت الجيوش الإسلامية تعقد ألويتها وتحشد قواتها . . من أجل الدعوة إلى دين الله الحق ، إلى توحيد العقيدة والعبادة للخالق الرازق . فإن استجابت تلك الدول فلها ما للمسلمين من حقوق وعليها ما عليهم من واجبات ، وهم والمسلمون سواسية كأسنان

المشط لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

وإن أصرت تلك الأمم على أن تحتفظ بعقائدها وعباداتها . . فمن حقها أن تفعل إذ « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (١) وحسبهم أن تحمى بسلطان الإسلام لتعيش في أمان وسلام محفوظة دماؤها وأعراضها وأموالها . . تماماً كأعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم بلا اختلاف .

ويكفي أن نسمع شهادة أهل الشام الذين احتفظوا بديانتهم فقالوا للقائد الإسلامي أبي عبيدة ، وهو يرد إليهم جزيتهم ويعتذر عن حمايتهم ، لأن المسلمين شغلوا بحرب أعداء آخرين قالوا له : (أنت أحب إلينا من بني قومنا وأهل كتابنا لأنكم أرأف بنا منهم . .) .

كما يكفي أن نتذكر ما كان يوجهه الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب إلى الدول المفتوحة والشعوب التي غزاها الإسلام بعدالته وحريته وسلامه — وإلى الولاة المسلمين الذين كانوا يرعون شؤونها ومصالحها . . لقد كان يقول لولاته : (متى استعبدتم الناس . . وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) . وكان يقول للشعوب المحكومة بالسلطان الإسلامي : (إني لم أبعث إليكم الولاة

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

ليضربوا أدباركم ويأخذوا أموالكم . ولكني أبعثهم إليكم ليعلموكم أمور دينكم) .

* * *

في مقابل هذه السياسة السليمة الكريمة الرحيمة . . التي ينتهجها الإسلام في علاقاته الخارجية مع الدول والشعوب الأخرى — نجد المطامع الاستعمارية التي تدفع بالدول الكبرى إلى استعباد الدول الصغرى ، واستثمار خيراتها الزراعية والصناعية ، وإذلال أعزائها ووجهائها ، ورفع مقام الأخساء والمنافقين فيها . .

يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان : (إن المطامع الاستعمارية وحدها كفيلة بأن تزلزل كيان الأمن الدولي وتعكر صفو السلام العالمي . ونقب كيفما شئت في تاريخ الحروب القديمة والحديثة فإنك لا تجد لها سبباً غير المطامع الاستعمارية) (١) .

وهناك هدفان أساسيان للاستعمار الحديث غربياً كان أم شرقياً سياسياً كان أم عسكرياً : الأول إحباط أي نهضة أو صحوة إسلامية . . لأن الإسلام بنظامه — الروحي والاقتصادي والسياسي قوة غالبة ، وأعداء الإسلام يريدون أن يظل المسلمون مغلوبين . والهدف الآخر استغلال العالم الإسلامي اقتصادياً . . لأنه يمتاز بكنوزه وخيراته الزراعية والصناعية والبترولية .

---

(١) عن كتاب (الاسلام والامن الدولى) ص : ١٠٨ .

وتتنافس الدولتان الكبريان في العالم – أمريكا وروسيا – في بث الفرقة والفتنة ، وإشعال نار الخلاف والصراع بين دول العالم . فتحتضن كل منهما فريقاً من المتنازعين ، وتمده بالأسلحة والخبراء العسكريين . . ليكون تحت سيطرتها ، والاحتياج إليها ، وطلب مشورتها . وتغرقه بالقروض والديون والفوائد الربوية . . مستغلة هذا الوضع المهين الذليل لمصلحتها الاقتصادية والسياسية في وقت واحد .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : إن الإسلام يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع . . حروب الاستعمار والاستغلال ، والبحث عن الأسواق والخامات ، واسترقاق المرافق والرجال . فلا مكان فيه لهذه الحروب وهو يعد البشرية كلها وحدة متعاونة . بل يعد الحياة كلها أسرة قريبة النسب، بل يعد الكون كله وحدة غير متنازعة الأهداف . وهو يأمر بالتعاون على البر والتقوى . . لا على الإثم والعدوان ، وهو يحرم السلب والنهب والغصْب ، وهو يعد البشرية كلها بالعدل المطلق . . لا فارق بين جنس أو لون أو دين في الاستمتاع الكامل بعدل الله (١) .

ويستبعد الإسلام أيضاً الحروب التي يثيرها حب الأمجاد

---

(١) عن كتاب (الاسلام والسلام العالمى) ص – ١٩ .

الزائفة . . أو حب المغانم الشخصية . فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله قائلا : (الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (١) .

---

(١) عن كتاب (الاسلام والسلام العالمى) ص ـ ١٩ .

الحرب الاسلامية : جهاد وذياد

قلنا فيما سبق — إن الإسلام لا يقر حرب المطامع والمنافع ، ولا حرب الاستعمار أو الاستثمار في بلاد الآخرين . وعرفنا أن المسلمين بقيادة رسولهم صلى الله عليه وسلم وزعامة خلفائه الراشدين كانوا دعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومبشرين بتحرير الإنسان في عقيدته وفي سلوكه . . حتى يختار الإله الحق الجدير بعبوديته له ، وخضوعه لأحكامه ، لأنه هو وحده الذي يملك رزقه كما يملك حياته وموته . .

ولم يكونوا قط جبابرة ولا طغاة في دعوتهم إلى الله — ولا أكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام ، ولا سلبوا أموال الأمم الأخرى ، ولا سفكوا دماءهم ظلماً وعدواناً . وكان ذلك منهم استيحاءً من الإسلام لتحقيق السلام العالمي أو الخارجي بعد أن حققوه داخل مجتمعهم الإسلامي .

ولكنهم — مع هذا السلوك السلمي في دعوتهم إلى الإسلام ، ومع حكمهم العادل الفاضل للشعوب التي احتفظت بعقائدها الخاصة — لم يسلموا من عدوات واعتداءات واجههم بها الحاقدون على الإسلام . . الذين رأوا فيه قوة جديدة محررة للإنسانية من

استعباد القياصرة والأكاسرة ، واستبدادهم بالشعوب والأمم ، واختصاصهم لأنفسهم بخيرات الممالك وثروات الأرض — ومن هنا وقف هؤلاء الأعداء في وجه الإسلام يحاربون المسلمين سراً وجهراً ، وأعدوا الجيوش وأوقدوا نار الفتن بين دوله وشعوبه .

وكما تنكر مباديء الإسلام العدوان على الغير . . فإنها لا ترضى بطبيعة الحال ومنطق العقل : أن يعتدي على دعاتها وحملتها المعتدون — يقول الأستاذ سيد قطب — رحمه الله — إن الناس لم يسالموا محمداً صلى الله عليه وسلم كما سالمهم ، ولم يدعوا للدعوة السلمية طريقها ولا لمعتنقيها المقتنعين بها حريتهم ، فآذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم ، وقاتلوهم حيثما وجدوهم ، وحالوا بين الاسماع وبين الدعوة بالقوة المادية المجردة من كل إقناع (١) .

ومن هنا جاء الأمر للمسلمين أولا : بأن يستعدوا لمواجهة عدوان المعتدين بكل ما يستطيعون من قوة عسكرية عدداً وعدة — وجاء الإذن لهم ثانياً : بأن يقاتلوا من قاتلهم ويردوا عدوان من اعتدى عليهم . . وذلك في قول الله عز وجل :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . . ترهبون به عدو الله وعدوكم . . » (٢) . (الأنفال/٦٠)

---

(١) عن كتابه (الاسلام والسلام العالمى) ص ٣٤ .
(٢) الانفال : ٦٠

وفي قوله تعالى أيضاً : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »(١) .

(آل عمران/١٩٦)

وفي قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »(٢) .

ونقف قليلا عند ختام الآية الثانية . . عند قوله عز وجل : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض — إلى آخر الآية » لنتأمل المقصد الإلهي الكريم العظيم من وراء هذا الإذن للمسلمين المعتدى عليهم بالدفاع عن أنفسهم — لماذا أذن الله لهم بهذا القتال الدفاعي ؟

إن ختام الآية صريح في بيان السبب الحكيم . . وهو الحفاظ على المقدسات الدينية ، وعلى حرية العابدين في ممارسة عبادتهم على اختلاف معتقداتهم ، وتباين مصلياتهم من صوامع وبيع ومساجد ، فالمسلمون عندما يقاتلون . . إنما يدفعون الظلم عن أنفسهم ، ويدفعون فتنة الصادين للناس عن دينهم ، ويدفعون في الوقت نفسه عدوان المعتدين على معتقدات الناس جميعاً ومصلياتهم ، وليس عن معتقدات المسلمين ومصلياتهم وحدها .

---

(١) الحج : ٣٩ـ٤٠ .
(٢) الانفال : ٣٩ .

ونجد التطبيق العملي لهذه الحكمة في قتال المسلمين واضحاً في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده لقادة الجيوش الإسلامية : بأن لا يتعرضوا بسوء لصوامع النصارى ولا بيع اليهود ، ولا للمتعبدين فيها من أحبار ورهبان .

ويذكر القرآن الكريم دائماً أتباع محمد صلى الله عليه وسلم بالمبدأ الأساسي : بالسلوك المفضل . . بالسلام عطاء وقبولا ، دعوة واستجابة . . في قول الله تبارك وتعالى : « **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله** »(١) وقوله أيضاً : « **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا إليكم السلم .. فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** » (٢) .

* * *

وكما يشرع الإسلام الحرب للذين ظلموا كي يدفعوا عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وديارهم عدوان المعتدين من غير المسلمين – يشرعها أيضاً لردع البغاة من المسلمين أنفسهم دون تحيز أو تعصب : « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل**

(١) الانفال : ٦١ .
(٢) النساء : ٩٠ .

وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين »(١) . فالسلام ذاته هو الهدف لتحقيق الأمن الداخلي والأمن الخارجي على السواء . وكما أسلفنا : ما لم يحقق السلام داخل المجتمع الإسلامي لن يستطيع المسلمون تحقيقه خارجه . . لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

* * *

(١) الحجرات : ٩ .

الحرب من أجل المستضعفين

والإسلام كما يريد السلام ويحققه داخل مجتمعه ، ويريده ويحققه خارج المجتمع الإسلامي ومع الناس جميعاً ، وفي الوقت نفسه يقر مبدأ الدفاع عن النفس وعن العقيدة ، ورد المعتدين الذين يقفون في طريق دعوة الخير والحق والسلام ، ويؤدب البغاة داخل المجتمع الإسلامي لإعادة السلام إليه — إن الإسلام بالإضافة إلى هذه الجوانب المشرقة في نظامه الاجتماعي والسياسي — أي الداخلي والخارجي — يريد السلام للمستضعفين الذين لا يستطيعون تحقيقه لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، ويدعـو المسلمين : أن يقاتلوا في سبيل منح السلام للعاجزين عن الظفر به .

* يقول الله تبارك وتعالى : « **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ..** » (١).

ذلك — كما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله — إن الإسلام يرى الحرب ضرورة لتأمين الناس من الضغط ، وتأمينهم من الخوف ، وتأمينهم من الظلم . . ضرورة لتحقيق العدل المطلق في الأرض حتى تصبح كلمة الله هي العليا (٢) .

---

(١) النساء : ٧٥ (٢) الاسلام والسلام العالمى : ٣٣ .

محمد رسـول السـلام

ولقد أعلن صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالبلاغ – وهو في مكة المكرمة – عن حبه للسلم ورفضه للحرب إلا لدفع الظلم ، وذلك في ثنائه عليه الصلاة والسلام على حلف الفضول الذي كان معروفاً في العهد الجاهلي ، وهو حلف اجتمع عليه بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة . . وتحالفوا فيه على (رد المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم) فقد قال صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول هذا : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعي إلى مثله في الإسلام لأجبت (١) .

ونجد تطبيقاً عملياً في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا المبدأ الإنساني العظيم ، مبدأ التحالف على تحقيق السلم ، ودفع الظلم ، ونصرة المظلوم .

. . نجده في تحالفه صلى الله عليه وسلم مع خزاعة بعد هدنة

---

(١) سيرة ابن هشام .

الحديبية ، وقد كانت خزاعة حليفة في الجاهلية لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم ، فأرادت أن تجدد ميثاقها معه كما كان مع جده . وكان عهدها مع عبد المطلب يقتضي : (أن عبد المطلب وولده ورجال خزاعة متضافرون متعاونون ، وعلى عبد المطلب النصرة لهم ، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ، على جميع العرب في شرق وغرب ، وحزن وسهل) .

فأقر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الميثاق بينه وبين خزاعة ، وهي ما زالت على دينها الجاهلي ، ولكنه زاد فيه شرطين يحددان فيما يكون التعاون والتناصر .

(الشرط الأول) : ألا يعين خزاعة إذا كانوا ظالمين . (والشرط الثاني) : أن يكون نصره لخزاعة إذا ظُلموا . أي أن انتصار محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخزاعة إنما يكون لدفع الظلم عنها . . فهذا هو مبدأ الإسلام ودعوته ومنهجه ومسعاه : الانتصار للمظلوم سواء أكان من المسلمين أو غير المسلمين .

الحق ما شهدت به الاعـداء

أوردنا فيما مضى في حديثنا عن السلام . . كدعوة أصيلة في نظام الإسلام الاجتماعي ونظامه السياسي ، مقالة الروم وهم مسيحيون حين فتح المسلمون ديارهم : (أنتم أحب إلينا من بني قومنا لأنكم أرأف بنا منهم) .

ونورد هنا في ختام حديثنا ما اعترف به (السير أرنولد) في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) من قوله :

• من هذه الأمثلة التي قدمناها آنفاً عن التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول الهجري واستمر في الأجيال المتعاقبة ـ نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام . . إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا الحاضر بين جماعات مسلمة : لشاهد على هذا التسامح الإسلامي) .

• ويضيف السير أرنولد قوله : أنه يمكننا أن نحكم في ضوء الصلات الودية التي قامت بين المسلمين والمسيحيين العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام ، فمحمد

نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ، ومنحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم ، وقد وجد حلف كهذا بين أتباع النبي وبين مواطنيهم الذين كانوا يدينون بالوثنية دينهم القديم)(١) .

* * *

وبعد . . فتاريخ الإسلام — قديماً وحديثاً — شاهد صادق على أنه دين السلام الداخلي والخارجي ، و حسبنا في العصر الحاضر ألا نرى أقلية غير مسلمة مضطهدة في دولة إسلامية . . بينما نجد أقليات — بل أكثريات — مسلمة مضطهدة مسلوبة الحرية والحقوق مباحة الأعراض والدماء والأموال في كثير من الدول المسيحية والوثنية . . كالحبشة ، والفلبين ، وروسيا ، والهند ، وتنزانيا ، وغيرها من دول آسيا وأفريقيا .

---

(١) ص ٤٨ و ٥١ (الدعوة الى الاسلام) .

عسكرية الإسلام

يخوض العرب اليوم معركة حاسمة ، مع عدو ثلاثي حاقد غشوم — بعد أن طال الأمد على استذلاله لإنسانيتهم ، واستغلاله لإمكانيتهم ، وأكله لخيراتهم ونهبه لثرواتهم . وبعد أن نقض ميثاقه وأخلف موعده ، وكذّب بعمله الفاجر دعواه أنه : صديق العرب وحليفُهم ، وأنه يريد أن ينهض بهم إلى العزة والمعرفة والحضارة . أجل إن العرب اليوم يخوضون معركة حياة أو موت ، مع عدوّ مبين كان يلبس ثوب المحالف ، ويتحدث إليهم بلسان الصديق ، ويمثّل أمامهم دور المحامي ، وهو خادع لهم متربّص بهم ، باسط إليهم في الخفاء يد السوء . .

وما أجدرنا اليوم ، ونحن نقف وقفتنا الفاصلة مع عدونا اللدود (١) أن نعرف بعض الحقائق عن الحرب الإسلامية : باعثها وغايتها ووسائلها ، ليشتد يقيننا ويقوى إيماننا ، ويتضح حقنا ، وتثبت أقدامنا حتّى ندرك غاية الحياة فينا عزة وحرية وعملا صالحاً ، أو تبلغ مصيرها المحتوم ، شهادةً وسعادة . .

---

(١) الصهيونية والصليبية والشيوعية ٠

غريزة القتال في الانسان

القتال – كما هو معروف – من واقع الحياة البشرية منذ ابتدائها ، وكما هو معلوم من أبحاث علماء النفس العصريين : غريزة أصلية في الإنسان منذ خُلِق إلى أن يموت . .

وفضل الإسلام ، الذي لا ينكره إلا جاهلٌ به أو حاقدٌ عليه . . هو أنه هذّب بتعاليمه القرآنية والنبوية غريزة القتال في الإنسان المسلم ، ونظم طرائق استخدامها عند الضرورة ، وحدّد بواعثها وغاياتها ، وشرع أحكامها وآدابها بما يحفظ للإنسانية كرامتها وحريتها وأمنها . .

يقرر القرآن الكريم أول ما يقرر في فلسفة الحرب الإسلامية : تربية النفوس المسلمة على حب السلام ، ويؤكد في هذه السبيل طبيعة الكراهية في هذه النفوس للقتال فيقول :

• « **وإن جنحوا للسلم فاجنحْ لها** » . (الأنفال/٦١)

• « **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً . . تبتغون عرض الحياة الدنيا** » . (النساء/٩٤)

• « **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** » .(البقرة/٢٠٨)

وجاءت التعاليم الإسلامية بتعبير سِلمي للتحية بين المسلمين : السلام عليكم ، وهو تعبير دُعائيٌ يوحي إليهم دائماً بحب السلام ،

ويذكّرهم أبداً بواجب نشر السلام بينهم ، وعدم العدوان على غيرهم ، كما جاء الحديث النبوي ناهياً عن تمنّي المسلم لقاءَ العدو ، موجّهاً إياه إلى التماس العافية : « يا أيها الناس . . لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموه فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » (١) .

إلى جانب هذا الحضّ القرآني على السلام ، يقرر القرآن أن الحرب قد تكون فرضاً لا عذر منه ، ومع إدراكه لطبيعة الإنسانية الكارهة للقتال فيقول : « كتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً ، وهو شر لكم » .

ذلك أن المسلمين مع حبهم للسلام ، وكرههم الطبيعي للحرب ، لن يسلموا من مكر غادرٍ ، ولن ينجوا من بَغْيِ معتدٍ أثيم . . ولن يعَزُّوا على أمنيةِ طامعٍ في ثروات أفرادهم وخيراتَ بلادهم ، إلا إذا عرفوا للسلام حقه فاحترموه ، وعرفوا للحرب واجبها فأحسنوه . .

ومن هنا جاء قول القرآن : « **والفتنة أكبر من القتل** » .
(البقرة/٢١٧)

نعم ، لئن كانت الحرب شديدة على النفوس المسلمة المحبة للسلام ، كبيرة بتكاليفها وتضحياتها ، إلا أن الفتنة — وهل بعد

---

(١) رواه الشيخان .

التآمر الثلاثي الكافر فتنة ـ أشد وأكبر ؛ فإن المستعمرين يفتنون المسلمين عن دينهم ، سياسياً وخلقياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً .. ومن ثم وجبت حربهم ، وحقت لعنتُهم ، ولزم إخراجهم من بلادنا ، لتبقى لنا دنيانا التي فيها معاشنا رخيّةً أبيّةً ، ويبقى لنا دينُنا الذي به صلاحنا سدّاً منيعاً . .

إن الحرب الإسلامية جِهادٌ وذِياد . جهاد في سبيل الدعوة إلى الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطهير البشرية من أرجاس المادية والإباحية . . وهي ذيادٌ عن حمى الإسلام لئلا تطأه أقدام ملوثة بالدنس ، وتمتد إليه أيدي باغيةٌ بالسوء ، وتنطلق ألسنة حِدادٌ طعناً في المسلمين .

وليست عسكريتنا الإسلامية كعسكرية الغربيِّين : عُدتها الخراب والدمار ، وغايتها الاستلاب والاغتصاب . . وإنما هي نظامٌ لِردِّ الحق المنهوب ، ونصرٌ للكرامة الإنسانية المنتهكة ، ودفعٌ للظلم عن المظلومين ، ونشرٌ للحرية المَطْويّة ، وتعميمٌ للأمن والرخاء . . يقول القرآن الكريم عن الغاية من الحرب الإسلامية :

* « **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله** » . (النساء/٧٦)
* « **أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا** » . (البقرة/١٩٠)
* « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** » .

× « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء . والولدان » ؟ (النساء/٧٥)

× « ألا تقاتلون قوماً نكثُوا أيمانهم ، وهمّوا بإخراج الرسول ، وهم بدأوكم أوّل مرة » . (التوبة/١٣)

ويقول عن التنظيم العسكري والاستعداد الحربي ، ووجوب الثبات في وجه العدو المهاجم :

× « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً » . (النساء/٧١)

× « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » . (الصف/٤)

× « وأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوة(١) » .

× « وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس » . (الحديد/٢٥)

× « إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً » . (الأنفال/٤٥)

× « إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار » . (الأنفال/١٥)

ويقول القرآن عن مصدر الانتصار في الحرب الإسلامية ،

---

(١) القوة تعنى كل أصنافها : بشرية وآلية وكهربائية وذرية ـ وكما حث القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) حث الرسول القائد أمته بقوله : (ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا) .

لئلا يغترّ المسلمون بكثرتهم وقوتهم ، من غير الاعتماد على الله ، ودون استعانة به :

× « **وما رميْتَ إذ رميت : ولكن الله رمى** » .
(الأنفال/١٧)

× « **فلم تقتلوهم ولكن الله قتَلهم** » . (الأنفال/١٧)

× « **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** » .

ويقول القرآن عن مثوبة القتال الإسلامي الذي لا بَغْيَ فيه ولا عدوان :

× « **ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتْل أو يَغْلِب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** » . (النساء/٧٤)

× « **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** » . (آل عمران/١٥٧)

× « **ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربِّهم يرزقون** » . (آل عمران/١٦٩)

ذلك شيء يسير من روائع القرآن في الحرب الإسلامية الفاضلة العادلة ، التي هي حرب أشبه بالسلم ، وأقرب للسلامة ، وأضمن لإقرار الرخاء والإخاء في الأرض ، لأنها مقاومةٌ للبغاة وتأديبٌ للمعتدين وزجرٌ للظلمة . وليست كحرب الغربيِّين والشيوعيين : مطامع وفظائع وافتراءٌ واعتداء ، وسلباً لحرية الحيِّ ، وانتهاكاً لكرامة الحياة .

ويضع القرآن – بعد ذلك – قواعد ووصايا حكيمة رحيمة للحرب الإسلامية ، فيدعو – كما أسلفنا – المجاهدين المسلمين إلى المسارعة لتلبية نداء السلام إذا وُجِّه إليهم من أعدائهم : « وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها وتوكّل على الله » .

ولكنه في الوقت نفسه يحذرهم من الإفراط في حب السلام بحيث يغفلون عن مكائد المعاهدين من أعدائهم : « وما تخافنَّ من قوم ٍ خيانةً فانبذْ إليهم على سواء . . إن الله لا يحب الخائنين » « وإن نكثوا أيمانَهم من بعد عهدهِم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم » .

والقرآن يوصي في آيةٍ واحدة بالإثخان وشدّ الوثاق ، وبالمنّ على الأسرى أو مفاداتِهم بأسرى المسلمين عند الأعداء : « حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوَثاق ، فإما منّاً بعدُ ، وإما فِداء » .

(محمد/٤)

وفي باب مقت الجُبن ، ومقاومة التخاذل وخشيةِ الموت يقول القرآن : « أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم في بروج مشيدة » . « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت » . « وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » . « وكأين من نبيٍ قاتل معه ربيّون كثيرٌ فما وهَنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » .

وعندما خالف المحاربون المسلمون واجب الطاعة في نظام

الحرب الإسلامية ، جاءتهم العبرة والموعظة العمليتان الزاجرتان في معركة أحد التي بدأت بانتصارهم وانتهت بهزيمتهم لمّا خالفوا أمر قائدهم — عليه الصلاة والسلام — فنزل الرماة من الجبل ، وانتهزت جنود قريش ذلك ، فانصبُّوا على المسلمين منه . .

ويقص القرآن قصة أخرى بل درساً تأديبياً عندما غفل الجنود المسلمون عن حقيقة الغلبة في الحرب وباعثها الحق ، وهو الإيمان والصبر والتضحية ، وليس كثْرة العدد والعتاد ، يقول تبارك وتعالى : « **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم ولّيتم مُدبرين** » .

(التوبة/٢٥)

هذا هو نظام الجندية ، كما وضعه القرآن لإدارة الحرب الإسلامية ، وهو كما نرى نظام حكيم رحيم ، سبيله الانتصاف والرحمة ، وغايته دعوة الحق ، ومقاومة العدوان .

حقيقة الحرب الاسلامية

وهنا يجب أن نُلِمَّ بتأريخ الحرب الإسلامية كما وقعت في حدود هذا النظام .

ففي رسائل النبي عليه الصلاة والسلام — في العام السابع الهجري ، إلى ملوك الأعاجم يومذاك : (كسرى وهرقل

والمقوقس والنجاشي) وغيرهم من ملوك الجزيرة العربية ، كان عليه الصلاة والسلام ، يقول لكل واحد منهم : (أسلمْ تسلمْ فإن أبيتَ فعليك إثم أمتك) .

ومعنى هذه الدعوة النبوية السلمية أن النبي كان يعتقد قابلية تلك الأمم التي يحكمها أولئك الطغاة لتلبية دعوته ، واعتناق دينه ، وكان يعلم أن الحكام والرؤساء وحدهم هم الحوائل والعوائق دون إسلام رعاياهم حرصاً على سلطانهم وزعاماتهم وإقطاعياتهم من المال والعقار والعبيد .

وقد ثار بعض أولئك الحكام والرؤساء على سفراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين حملوا إليهم دعوة الإسلام ، وهدّدوا بمحاربة المسلمين . . فلم يكن بدّ للجيش الإسلامي من أن يستعد للهجوم أيضاً في سبيل إيصال دعوته إلى رعايا أولئك الملوك . . تلك الرعايا التي كانت مستعدة لاعتناق الإسلام ديناً ، أو على الأقل ، كانت مستعدة لقبول الإسلام دولةً تحكمُها بالعدل والمساواة بدلاً من ملوكها الطغاة المترفين .

وفي (المصنف) للإمام عبد الرّزاق بن همام : (ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً إلا دعاهم ، وقد دعا بني النضير إلى أن يعطوا عهداً يعاهدونه عليه فأبوا . . فقاتلهم) .

إن الفتوح الإسلامية التي تجاوزت بلاد العرب لم تكن طمعاً

في استعمار البلاد المفتوحة ، أو رغبةً في استذلال أهلها ـ كما يفعل الفاتحون الغربيون والشيوعيون اليوم ـ وإنما كانت ضماناً لسلامة الدولة الإسلامية من جانب ، وحباً في إدخال العالم الحائر التعس في دين الحق والخير والعدل والسلام من جانب آخر . .

فعندما بدأت الأحوال في دولتيْ فارس والروم تضطرب ـ حينذاك ـ لم يكن الخليفة المسلم ملوماً في العمل على حماية دولة الإسلام من عدوى ذلك الفساد بما أعد من جند للفتوح الجديدة التي يقوم بها في البلاد المفتوحة قواعد عسكرية تحمي ظهر الدولة الإسلامية ، وقواعد اجتماعية تصلح بها حياة الناس إن رضوا بالإسلام دينا ، وإن لم يرضوا فهم بعد الجزية والمسالمة أحرارٌ مكرمون محفوظة حقوقهم ، محمية أعراضهم كالمسلمين تماماً ، وهذا أندر ما يطمعُ فيه مغلوبٌ من غالبه . .

ولقد اتّهم المؤرخون الأوروبيون الإسلام بأنه : دين سيفٍ ودين عدوان ودين قَطْعِ طريقٍ ، ولو رجعوا إلى تأريخ الحرب الإسلامية لعرفوا :

- **أولاً** ـ أن الإسلام كان في بداية عهده هو المعتدَى عليه ، ولم يكن معتدياً على أحد ، وكان المسلمون يؤمرون في ـ القرآن ـ بقتال من يقاتلونهم .

- **ولعرفوا ثانياً** ـ أن المسلمين كانوا يحاربون من لا يُؤْمَنُ

عهده ، ولا يتّقى شره بالمعاهدة والمسالمة كما جاء في وصايا القرآن التي أثبتناها آنفاً .

* **ولعرفوا ثالثاً** – أن ما كان من حرب المسلمين لغيرهم هجوماً لم يكن إلا مبادرةً بالدفاع بعد التثبّت من نكث العدو للعهد وإقباله على القتال . . حتى أن الجيش الإسلامي رجع من تبوك دون أن يطارد جيش الروم الذي نكص على عقبيْه ، على فرط ما تكبّد المسلمون من متاعب ونفقات في مسيرهم إلى تبوك .

* **ولعرفوا رابعاً** – أن السرايا الإسلامية التي أسموها – **قَطْعاً** للطريق – قد اتّبعَ نظامها قائدهم العسكري الأشهر نابليون ، عندما منع السفن الإنجليزية التجارية من الوصول إلى القارة الأوروبية وحوّل المعاملات الاقتصادية من طريق بريطانيا إلى طريق فرنسا .

هذا إلى أن القانون الدولي الحديث ونظام هيئة الأمم المتحدة ، وتجارب الحربيْن العالميتيْن قد أقرت فرْض العقوبات الاقتصادية على الدول المعادية .

* **ولعرفوا خامساً** – الفرق الفارق بين الإسلام كدينٍ عالميّ عام جاء ليمنح العالم كله مناهج الخير والحق والعدل والسلام ، وبين اليهودية كدينٍ خاص بشعب إسرائيل يكره معتنقوه أن يُشاركهم فيه الناس فكانوا من أجل ذلك لا يدعون إليه

أحداً من غيرهم . . وبين المسيحية كدين جاء للتربية الخُلُقية دون القوانين السياسية التي كانت الدولة الرومانية تفرضها و تنفذها وهي دولة أجنبية مسيطرة لم يكن لأصحاب الدين المسيحيّ الجديد قدرةٌ على مناهضتها .

* **ولعرفوا أخيراً** : أن الإسلام لم يحارب بالسيف مباديء وأفكاراً ودعوات يمكن مقاومتها بالدليل والحجة والبرهان .. وإنما شهر الإسلام السيف في وجوه سلطاتٍ وقُوًى وزعامات ورئاساتٍ وموروثاتٍ كانت تقف في سبيل دعوته الجديدة الرشيدة ، وهي تطرقُ الأبواب والآذان والقلوب (١) .

ولكن أنّى لهؤلاء المؤرِّخين الحاقدين أن يعرفوا هذه الحقائق من تأريخ الحرب الإسلامية وهم عمدون عمْداً وقاصدون قصداً إلى الكذب والبهتان ؟ !

أخلاقيات الحرب الاسلامية

بقي أن نذكر ــ بإيجاز ــ بعض العلوم والآداب العسكرية الإسلامية التي حقق بها المسلمون الأوائل انتصاراتهم أخلاقياً وسياسياً خلال فتوحاتهم الظافرة .

---

(١) يراجع لمزيد من التفصيل كتابنا : (مفتريات على الاسلام) .

من التوجيهات النبوية

* (أغزوا باسم الله في سبيل الله . . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً) .

* ووجدت امرأةٌ مقتولة في بعض المغازي فنهى الرسول عن قتل النساء والصبيان . .

* وعن رباح بن ربيع أنه خرج غازياً مع الرسول صلى الله عليه وسلم فمرَّ على امرأة مقتولة فقال : (ما كانت هذه لِتُقاتَل) .

* وبعث إلى خالد بن الوليد وكان على مقدمة الجيش يقول له : (لا تقتلوا امرأة ولا ذريةً ولا عسيفاً) .

* وفي غزوة مؤتة أوصى عليه الصلاة والسلام جنده : (ألا يقتلوا النساء والأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار) .

* وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله . . لا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأةً ، ولا تغلّوا ، وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

* وعن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا بعث بجيوشه قال : (أخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الوِلدان ولا أصحاب الصوامع) .

* وفي بعث أسامة لغزو الروم وقف أبو بكر خطيباً في جيشه يقول : (يا أيها الناس ، قفوا . . أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأةً ، ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوامٍ فرَّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم لما فرَّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان الطعام . فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ ، فاذكروا اسم الله عليه ، وستلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفْقاً . اندفعوا باسم الله) .

* كما كان يوصي عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني قائد جيشه : أن يكون هو وجنوده أشدَّ احتراساً من المعاصي ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوِّه . . وإنما ينتصر المسلمون على عدوِّهم بمعصيته لله ، فإذا استوى المسلمون

وعدوُّهم في المعصية كان له الفضلُ عليهم بقوته لأنه أكثر منهم عدَداً وأقوى عُدَّةً .

* ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم الدائمة لقادة الجند الإسلامي : أن يحسنوا معاملة الأسرى . ومن توجيهاته : **(استوصوا بالأسرى خيراً)** .

– ولما جيء له بأسيرٍ قال : (أحسنوا إساره) .

ويقول الهرثمي مؤلف كتاب (مختصر سياسة الحروب) : إن نظام الأمم – أي قوامها وأساسها – تقوى الله والعمل بطاعته . . فينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره والاستعانة به ، والتوكل عليه .. وأن يترك البغي والحقد والانتقام عندَ الظفرَ إلا ما كان لله فيه رضىً ، وأن يستعمل العدلَ وحُسنَ السيرة) .

ويقولُ الماوردي في كتابه : (الأحكام السلطانية) في باب تقليد الأمارة على الجهاد : (ولا يجوز قتل النساء والولدان في حربٍ ولا في غيرها ما لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتلهم كما نهى عن قتل الضعفاء والوصفاء – أي الأجراء والمماليك – وعلى القائد أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله بالتزام أحكامه ، والفصل بين حلاله وحرامه . فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (انهوا جيوشكم عن الفساد ، فإنه ما فسدَ

جيش قط إلا قذف الله في قلوبهم الرعب . وانهوا جيوشكم عن الغلول . . وانهوا جيوشكم عن الزنا) . وقال أبو الدرداء : أيها الناس اعملوا صالحاً قبل الغزو ، فإنما تقاتلون بأعمالكم .

ويقول ابن منكلي مؤلف (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) : يلزم أمير الجيش أن يؤلف قلوب رفقائه ، وأن يراعي في جيشه ما أوجبه الله من حقوق .

وحسبنا أن نعود بذاكرتنا إلى ما كان يوصي به الخلفاء الراشدون قادة جيوشهم وأفرادها بتقوى الله والحذر ، واليقظة والعفة والمروءة والصبر عند لقاء العدو واحتساب الأجر عند الله ، لنتيقن أن **عسكرية الإسلام** ليست كوحشية الحروب الصليبية قديماً وحديثاً همها الأول والأخير : القتل والسلب والاستعمار وإذلال خصومهم . . وإنما غاية العسكرية الإسلامية الدفاع عن الحرمات والحقوق ، ونشر الخير والعدل والسلام .

والله ولى التوفيق .

فهـــرس




مطبعة
رابطة العالم الإسلامي